دعوات جون ديوي الاخلاقية

المدرسة الدكتورة هبه عادل ابراهيم
جامعة بغداد - كلية الآداب
قسم الفلسفة

المهمة الأساسية للأخلاق منذ ظهورها حتى الآن هي محاولة إصلاح الإنسانية بواسطة وصف رشتات علاج مختلفة، حتى يتمكن الإنسان من العيش مع أخيه الإنسان، وفق نظام معين، يمكن إن يحقق له عيشة أمنة، هنية، ميسرة. لكن هذا الهدف العام، كان دائماً وهو في طريقة إلى التطبيق، يخضع إلى تأثيرات جانبية، أهمها البيئة التي ينبت فيها بظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخ... لذلك نجد بأنه تتفرع عنه أراء وأهداف أخلاقية أخرى. كما إن طرق تطبيقه هو ذاته تكون مختلفة بحسب اختلاف العوامل التي ذكرناها. فنراه يخرج إلى النور بطابع تلك العوامل. ومن هنا جاءت النظريات والمذاهب الأخلاقية المختلفة على مر العصور والفترات الزمنية. وها نحن هنا بصدد بحث دعوات أخلاقية لفيلسوف معاصر (جون ديوي)* ، أثرت عوامل عديدة في إظهارها كانت أهمها، طابع عصره العام (عصر التقدم والتطور العلمي) ذلك العصر الذي دفع ديوي إلى التفكير بأخلاق جديدة دقيقة، تعتمد المنهج العلمي التجريبي، الذي اطلع على ثماره بنفسه، فأعجبته، عندها رغب في الحصول على مثلها في مجال الأخلاق. أما طابع المدرسة البرجماتية التي انتمى إليها، فكان له أثره في دعواته الأخلاقية كذلك. خاصة في دعوته إلى أخلاق عملية (أخلاق خبره)، ودعوته إلى تجديد وإصلاح أخلاقي. فمن المعروف عن المدرسة البرجماتية، هو

أنها فلسفة عملية تنظر إلى المستقبل وتحاول تغيير العالم للأفضل. ومن هنا جاء قوله إن أخلاق خبرة متراكمة هي خير ما يقدمه السلف للخلف ((عاداتنا الفردية هي حلقات في سلسلة الحضارة الإنسانية الخالدة. ويتوقف معناها على البيئة التي ورثناها عن إسلافنا والتي نشعر بتحسن يطرأ عليها كلما نظرنا بعين المستقبل إلى ثمار أعمالنا في ذلك العالم الذي سيعيش فيه أولئك الذين سيخلفوننا))[٢] . ومن المناسب ذكره هنا إن جذور الأخلاق البرجماتية بعامه، هي من الأخلاق النفعية الانجليزية التي أسسها (ابيقور) قديماً، وقال بها (هوبز) و (بنثام) و(مل) حديثاً فعند هؤلاء ((الفعل يكون فضيلة او رذيلة حسب مايترتب عليه من نتائج تسعد الناس أو تشقيهم، والفعل الذي ينشأ عنه اكبر مقدار من السعادة لأكثر عدد من الناس هو الفعل الفاضل))[٢] . ونذكر من العوامل الأخرى التي ساعدت على إظهار دعواته الأخلاقية أراء أصدقاء له هما (فرانكلين فورد) الذي ساعده على تنمية دعوته الأخلاقية الجديدة (الأخلاق الاجتماعية). عندما بين كيف يمكن النظر إلى الأخلاق من زاوية اجتماعية كموضوع للبحث التجريبي. و(جيمس) الذي ساعده على صياغة (أخلاق سيكولوجية). والتحرر من (الأخلاق الإدراكية)[٣] فاخلاقه الجديدة التي صاغها لا تستند على الإدراكات وإنما إلى الرغبات الراهنة الفاعلة.

المقدمة

وهو هنا كان يدعو إلى التعقل في التعامل مع الرغبات إن طلبنا حياة أخلاقية سليمة، فعلى سبيل المثال،

إن رغبتنا في – في بعض الأحيان – تبين لنا إن في إشباعها يحدث الخير لنا، لكن التفكير والتروي يبين لنا انه ليس كل إشباع لرغباتنا هو خير، بل قد يكون إشباعها فعلاً ضاراً ومؤذياً أي شراً[٤]. ويذكر إن ديوي اتجه إلى تنمية مذهبة في الأخلاق عام ١٩٠٤ عند إقامته في شيجاغو واشتغاله رئيساً لقسم الفلسفة بجامعتها[٥]. حيث بدأ بفلسفة التربية وانتقل إلى فلسفة الخبرة وانتهى إلى فلسفة القيم التي هي لب الفلسفة وصميمها وهي البحث في الخير. لذلك قيل انه انتهى كما انتهى (أفلاطون) من قبله، في محاضراته التي كان يلقيها في أواخر حياته ولم يدونها. حيث انه تأثر بأفلاطون حين

درس جمهوريته فقال ((إن قراءته المحببة هي محاورات أفلاطون إن الفلسفة الحق هي في الرجوع إليه))[٦]. والحق إن ديوي انتهى بالفعل إلى فلسفة القيم. فأن ذكر إن ما تبقى للفلسفة بعد إن انفصلت عنها العلوم، هو مباحث القيم والمعرفة والوجود، فأن ديوي أراد للفلسفة إن تتحرر من الميتافيزيقا (مبحث الوجود) والابستملوجيا (نظرية المعرفة) كذلك. واستبقاء مبحث القيم لوحده لأنه رأى في الميتافيزيقا والابستملوجيا، مباحث عقيمة. في حين إن اهتمام الفلسفة بالأمور الأخلاقية يمكن إن يحقق للإنسان السعادة الاجتماعية والأخلاقية[٧]. لذلك سمى البعض برجماتية (بيرس)* برجماتية (الرجل المنطقي)، وبرجماتية (جيمس)** برجماتية عالم الإنسانيات إما برجماتية ديوي فمبدأ مرشداً للتحليل الأخلاقي[٨]. ورأى فيه البعض الأخر، فيلسوفاً أخلاقيا بالدرجة الأساس. والحق إننا لا نتفق ووجهة النظر تلك، لأننا نرى في فلسفته أنها تربوية بالأساس، لكنها يمكن إن تكون هكذا، إذا نظرنا إليها من جهة الغاية النهائية. فأن غاية الفلسفة التربوية هي ذاتها غاية الفلسفة الأخلاقية وهي الوصول إلى مثالية نظرية وعملية. واعتقادنا إن الاهتمام بموضوع معين بالدرجة الأساس، لا يلغي الاهتمام بالمواضيع الأخرى. ولا حتى يساعد على التقصير فيها فأننا لا ننكر اهتمام ديوي بالأخلاق، وإلا لم تكن دعواته الأخلاقية لتظهر إلى النور، كما انه كان يعد الأخلاق من ((أكثر الموضوعات، إنسانية وإحساناً ورحمة. أنها أمس شيء بالطبيعة الإنسانية وأوثقها صلة بها))[٩].

وعليها يتوقف نهوض الأمم أو تدهورها ((القوى الأخلاقية هي التي بها يتعين أخر الأمر نهوض كل جماعة من الجماعات البشرية، أو تدهورها أو انهيارها))[١٠]. لذلك كانت دعوته الأهم – إضافة للدعوات التي سنستعرضها – هي المطالبة بتجديد أخلاقي مستمر ليلاءم كل الظروف التي من الممكن إن تطرأ، لتجنب أي فراغ أخلاقي يمكن إن يحدث. وسنتعرف كيف إن أهم تجديد سيعمل عليه هو إلغاء جميع الثنائيات القاتلة في الأخلاق التقليدية في محاولة منه لإنشاء أخلاقية منسجمة واحدة متكاملة غير مجزئه يمكن إن يكون في اتحادها قوة لم تشهدها الأخلاق التقليدية.

- دعوة إلى واحديه في السلوك الأخلاقي:-

عرفنا إن ديوي، عندما بدا عنايته بالمسائل الأخلاقية، اخذ على عاتقة إزالة كل الثنائيات فيها مثلما فعل مع باقي المسائل ومن هنا لم يعد يأخذ بوسائل منفصلة عن غاياتها أو بنظريات معزولة عن العمل بها، أو بإرادة للفعل (داخلية وموجودة في العقل) دون نتائجه(التي عدت خارجية في السلوك)، أو بين ما هو كائن وما ينبغي إن يكون. وهذا ما دفعه إلى نقد المذاهب الأخلاقية التي اهتمت بالجانب المعتمد على القصد والنية في الفعل، كأخلاق الرواقية ومسيحية الرهبان وأخلاق (كانت) من جهة. ونقد المذاهب الأخلاقية الأخرى التي تهتم بالنتائج فقط كمذهب المنفعة من جهة أخرى[٢١]. وهذا يوصلنا إلى إن ديوي انشق – بآرائه الأخلاقية – عن مدرسة البرجماتية التي ينتمي إليها* والتي أطلق عليها (سفسطائية العصر الحديث) لأنها اعتبرت الفرد مقياس السلوك، فكل ما يوصل إلى الصالح الشخصي فهو خير، فباطل نافع خير من حق لا نفع ورائه[٢٢] لقد عمد فيلسوفنا إلى التوحيد بين الوسائل والغايات، وبين لنا غايته من ذلك، هي حتى لا يرتد بنا الهدف إلى عاداتنا القديمة وبذلك لا نعمل ما نرمي عمله، بل ما تعودنا عمله وبالتالي تكون النتيجة الفشل. فالهدف يجب إن يشكل على أساس بحث الظروف الحاضرة التي تستخدم كوسيلة لتحقيقه[٢٣]، أما التجارب الماضية فهي مهمة لكن وضيفتها يجب أن تقتصر على مدنا بالأدوات الفكرية التي نحكم بها على هذه الوسائل فهي مجرد آلات لا غايات[٢٤]. ومن هنا كانت الوسائل والأهداف عنده اسمان لحقيقة واحده فلا تعارض بينهما، الوسائل سبب الأهداف فلا يمكن معرفة أي هدف ما لم نعرف وسائل تحقيقة وهذه هي الحالة الطبيعية[٢٥]. فالهدف الذي يكون مجرد هدف يكون غامضاً وعاطفياً و((الشخص الوحيد الذي يمكنه الاستغناء عن ترجمة الأهداف إلى وسائل هو علاء الدين بمصباحه السحري ، ولا يستطيع احد غيره ذلك))[٢٦]. نلاحظ هنا ان ديوي يدعو إلى ترك السعي وراء الغايات الثابتة الجامدة والبحث عن مواطن الإمراض والعلل الحاضرة وإيجاد العلاج لها. ذلك لان السعي وراء الغايات الثابتة

أولا:- يجعل من الإنسان فردا كسولا عند فحصة للظروف الحاضرة[٢٧]

ثانيا:- رفض السعي وراء الغايات والأهداف الثابتة لأنه أراد أن تستبعد ((الأسباب التي أبقت النظريات الأخلاقية في دائرة الجدال والنزاع، وأبعدتها عن الاتصال النافع بمقتضيات الحياة العملية))[١٩]. ومن هنا نصل إلى إن الأهداف لم تكن عنده ألا سلسلة من الأفعال ترى في مرحلة بعيده جداً، (أخر الإعمال) أو(وسائل بالفعل)*. أما الوسيلة فما هي إلا نفس السلسلة من الأفعال نراها عن قرب (الأعمال السابقة عن
الهدف) أو(الأهداف بالقوة). يقول ديوي ((الهدف يدل على سلسلة من الأفعال إذا نظرنا إليها ككل متكامل مثل كلمة (جيش) و الوسائل تدل على نفس السلسلة من الأفعال إذا نظرنا إليها متفرقة مثلما نقول (هذا الجندي وذاك الضابط)))[٢٠]. وطريقة تشكيل الأهداف عنده تكون من خلال:- رغبة أو رد فعل ضد حالة حاضرة – على ما أشرنا – وأمل في شيء مختلف على إن ترتبط بهذه الرغبة معرفة قائمة على دراسة الظروف يقول ((فكثير من الناس يحلمون ولاشك بالقدرة على الحصول على النور في الظلام دون مشقة الحصول على الزيت أو المصابيح أو الاحتكاك))[٢١] وبذلك يكون قد جعل الرغبات أو الأفكار وسائل أو أدوات أو (ذرائع) لتحقيق غايات الإنسان المنشودة[٢٢]– ومن هنا أطلق على منهجه (منهج الذرائع) أو (الأداتية) -. لكنه كان يرى إن المعرفة أو دراسة الظروف تعلمناها في المسائل الفنية أما في المسائل الأخلاقية فإنها مهملة وذلك ما جعل:- الوسائل عُدت وضيعة مما احدث شللاً في الجهود لعدم وجود توازن بين الوسائل والأهداف أو بين ما نرغب به وما نصل إليه بالفعل ((أنها تلقي ظلاً من النفع في آثاره (الأمل) ولكنها لا تبحث ولا توجه السعي إلى التحقق في الوجود الفعلي))[٢٣] ويرى ديوي إن قلة اعتبار الوسائل يدل على إن الأهداف المزعومة لا تؤخذ على مأخذ الجد وعنده إن ذلك شبيه بمن يهب نفسه لرسم الصور مع احتقار القماش والفرشاة والألوان وهذا علامة على تمام إنفاق إن لم يكن على جنون[٢٤]. وهذه واحدة من أسباب كثيرة ستدفعه إلى المطالبة لتطبيق مناهج علمية على المسائل الأخلاقية.

- دعوة إلى تغيير وإصلاح أخلاقي:-

هي دعوة الى (نمو الاخلاق) او تطورها، دعوة الى رفض الجمود الاخلاقي او الثبات الاستاتيكي والوصول بالاخلاق الى تغيير ديناميكي، يلائم التغيير الذي يحث في شتى مجلات حياتنا. وتلك دعوة طبيعية في مجتمع صناعي كالمجتمع الذي عاش فيه فيلسوفنا،مجتمع كل شيء فية قابل للتغيير فـ((لا يجوز ان يقف شيء كائنا ما كانت قيمته وقداسته حائلا في مجرى الاصلاح الاجتماعي وتوفير العيش الرغيد للانسان العامل، لابد من تغيير قواعد الاخلاق ان اقتضى الاصلاح هذا التغيير))[٢٤]. والحق ان ديوي ولد في ولاية (فيرمونت) الامريكية، وهي منطقة ريفية هادئة يعيش اهلها على الزراعة لذلك كانت عندهم ((كل ما تقتضيه الزراعة من اخلاق المحافظة على القديم وايثار السلامة والامن والدعة على المخاطرة))[٢٥] لكن الأمر انعكس بعد أن انتقل إلى إقليم الغرب الأوسط، حيث كانت الحياة عرضة للخطر واحتمال النجاح كبير، لذلك لم يكن الناس ينشدون اليقين في حياتهم، لذلك انعكست الوضعية عنده، فنشر كتابة (البحث عن اليقين) ليبين فيه أن طلب اليقين في الفكر والعمل أكذوبة[٢٦] لذلك ((لم يسعه ألا أن يكون بفلسفته داعيا إلى تغيير القيم،لان الحياة التي أحاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير))[٢٧] والحق أن دعوته تلك لم تكن الوحيدة في عصره، فعلماء الأخلاق حينها كادوا يجمعون على نقد الأخلاق التقليدية، وضرورة أن تواكب الأخلاق تطور المجتمع. ومن الأسباب الأخرى التي جعلته يدعو إلى مثل ذلك التغيير – إضافة إلى صرعة عصره – انه لم يكن يفصل الأخلاق عن الحياة العلمية لذلك نجده عارض الفلسفات الميتافيزيقية – وبضمنها الفلسفات الأخلاقية التقليدية – التي لا تتحدث إلا عن عالم مثالي بعيد عن حياتنا العملية[٢٨]. كما إننا لا يمكننا أن ننسى سببا أخر مهما وراء دعوته تلك وهو، أن الدعوة إلى التغيير هي من سمات المدرسة البرجماتية التي ينتمي لها، فنظرة تلك المدرسة كانت دائما نظرة مستقبلية ((الفيلسوف البرجماتي ليس فيلسوفا دوجماطيقيا يعتقد اعتقادا جازما في صحة بعض الأفكار، إنما هو فيلسوف حر، متفتح الذهن أمام كل إمكانيات الطبيعة، نائيا بنفسه عن كل اصطناع او تظاهر ببلوغ الغاية أو النهاية في الصدق))[٢٩]. وديوي نفسه يرى في المدرسة البرجماتية (مثالية للعمل) منصرفة لإعادة ترتيب وإنشاء العالم وخلق المستقبل، دون الجمود على الآراء المتعلقة

بالماضي[٣١]. (والحق إن صفة حب التغيير هذه – التي لازمت المدرسة البرجماتية بل والعقلية البرجماتية الأمريكية بأكملها – اتسعت لتشمل مجالات الحياة بأسرها في الدين والأخلاق والسياسة. ونحن نتفق وهذه المدرسة في ضرورة التغيير على ان يكون مصحوبا بشروط، فبقاء أي نظام اجتماعي أو أخلاقي أو سياسي الخ ... يعني الاستقرار والسلام حتى لو كان فيه عيوب. وإذا ما أردنا التخلص من هذه العيوب علينا أن نعمل على أن يصاحب ذلك التغيير شروط كتهيئة مسبقة وأولية لإحداث ذلك التغيير، مثل دراسة الظروف كافة وهل يمكن أن تخضع لتغيير ما، ومحاولة أقلمتها بوسائل معينة أن لم تستجب لذلك التغيير، ودراسة كيفية مواجهة معارضي التغيير. فان لم تتوفر مثل هذه الشروط أو وجد أنها ستواجه الفشل فيجب أن لا نشرع بتغيير، حتى لا يؤدي ذلك التغيير المفروض به أن يكون ايجابيا إلى نتائج سلبية أو إلى فوضى. ففي نظرنا أن الثبات بعيوبه حينها سيكون هو المفضل والأسلم، فالتغيير يجب أن لايأتي عشوائيا بل يجب أن يكون مدروساً ومسئولا. كما يجب إن تتكرر محاولة حدوثه بايجابية وصبر حتى لا يكون تركة عجزا واستسلاما). ونحن بصدد استعراض الأسباب التي دفعت بديوي إلى دعوته للتغيير لا يمكننا أن نسهو عن كونه فيلسوف الديمقراطية التي ورثها وعاش فيها عندما كان في برلنجتون والتي انحدرت إليه مع سلالة المهاجرين و رأى إن الاحتفاظ بها يكون عن طريق أولا:- التربية – حتى أصبح شعار المعلمين هو التربية للديمقراطية والديمقراطية للتربية – ثانياً:- عن طريق تحرير المرأة وحصولها على حقوقها[٣٢]. وعليه كانت دعوته إلى الديمقراطية حتى في مجال الأخلاق، ومن المعروف أن ديمقراطية أخلاقية لا يمكن ان تتحقق بمعناها الصحيح، ما لم يحدث تغيير، لان الطاعة العمياء لسابقة مرَّ زمانها او انقضى، وهبطت ألينا في ثبوت من العرف أو التقليد ليست من الديمقراطية في شيء[٣٣]. كما انه كان يرى أن القانون الأخلاقي كالقانون الطبيعي لا نثق به في جميع الظروف بل في ظروف خاصة وبحسب كل حالة، لذلك لا يمكن أن تكون القوانين الأخلاقية ثابتة بل يجب أن تتكيف مع الظرف ((فالقوانين الأخلاقية الجامدة التي تحاول وضع أوامر ونواه محددة لكل مناسبة في الحياة، تتحول في الحقيقة الى تراخ وتفكك))[٣٤]. وهنا نرى ديوي قد بدأ يؤشر الاخطاء التي جعلت

البعض يتمسك بالقوانين والمبادئ الاخلاقية الثابتة، وما دفعه لذلك هو البحث عن القيم والمصلحة الفعلية التي ادت المصالح والقيم السائدة الى اهمالها وطمسها، وحتى يكون الناس على وعي بها[٣٤]. ومن هنا قال ان من يتمسك بالقيم التقليدية البالية، التي ربما بعضها تكون مصادفة او تحت ضغط ظروف مضت منذ زمن بعيد فانه سوف يبعد هذه القيم عن النقد وبالتالي ستستمر، كما انه كل شخص او جماعة تتمتع بسلطة سوف تعمل على استقرار قدسية المبادئ الثابتة[٣٤].

كما ان التسليم بتلك القيم يضعف الدافع للكشف عن جديد يساهم في تقدم ما. اضافة الى اننا نعيش في عالم متغير، لذلك لا يمكننا العيش مع قيم ثابتة. ويعزو سبب وصول الاخلاق الحاضرة الى حالة من قلة تقدير الناس لها واحترامهم اياها، الى انها لم تقبل التغيير الذي تتلائم به ومتطلبات الحياة الحاضرة[٣٦]. كل تلك الاسباب حدت به الى دعوة للتغيير والاصلاح الاخلاقي، دعوة الى احلال النسبي بدل المطلق والاحتمال محل اليقين والى ان تكون القيم مجرد ادوات يستخدمها الانسان في سلوكه، ((وبذلك تصان الحياة الاخلاقية من السقوط في مهاوي الشكلية والتكرار الجامد وتصبح مرنة، حيوية، نامية))[٣٢]. لذلك كانت الاخلاق والنموعنده شيء واحد يقول((الاخلاق العملية مستمرة وليست انجازاً ثابتاً))[٣٤]. فعملية النمو والتقدم هي التي يجب ان تكون الغاية النهائية وليست النتيجة الساكنة، فمثلاً ليست الصحة هي الغاية النهائية المطلوبة لكن التحسن المنشود في الصحة، وهو عملية متصلة ومستمرة[٣٤]. لذلك وصفت فلسفته بعامة وفلسفته الاخلاقية بانها((تفاؤلية واثقة بقدرة الانسان والعلم والمعرفة على تغيير حياة الانسان وجعلها اكثر كمالا واوفر معنىً))[٤]. لكن هل نصل من ذلك الى انه رفض القيم الاخلاقية القديمة، رفضاً قاطعاً؟ يقول ديوي ان اضطراب الفكر الحديث راجع الى الاختلاف بين ما يفعله الناس وما يعتقدونه. فهم تمسكوا بمعتقدات ظنوا انها مصدر ترتيب وسلطة منظمة تصون الاخلاق من الفوضى وتوصل الى اليقين يقول ((الاشتياق الى اليقين، الناتج عن الخوف والذي يغذيه حب النفوذ والسلطان، ادى الى الاعتقاد بان عدم وجود مبادئ ثابتة دائمة عالمية التطبيق يساوي الفوضى الاخلاقية))[٤٢]. وهذا ادى الى تواتر وتكرار ونسخ عادات جامدة تكونت في حضارات قديمة وغريبة.

لكن العلم اليوم لن يسمح بأعفاء الاخلاق من اعتبارات الزمان والمكان أي إعفاءها من عملية التغيير[٤٢]. ان ما يفهم من اقوال ديوي انه رفض الاخذ بالقيم القديمة. كما انه في بعض اقواله بشر بتقلص مثل تلك القيم يقول ((اذا كان اولئك الرواد قد احتفظوا بما لايتفق وحياتهم من الآراء التقليدية في الدين والاخلاق، فان هذه الاراء تقلصت الى الحد الذي لم تعد معه مؤذيه))[٤٣]. والحق ان ذلك غير صحيح، فهو لم يرفض القيم والتقاليد القديمة، لانه (فيلسوف الخبرة) الذي يعتقد ان ما يكسبه المرء من خبرة تتجمع شيئاً فشيئاً خلال الحياة. ومن هنا نجده يقول بانه لا يزعم رفضه التقاليد والمؤسسات المتوارثة، لان الانفصال عنها يفضي بدون شك الى فوضى، كما ان الانسان - باعتقاده – مطبوع على المحافظة على القديم بفطرته وبتربيته[٤٤].

ان ما اراده ديوي بالضبط هو ان يأخذ من الماضي ماهو صالح للمستقبل، بحيث تكون الخبرة الماضية (اداة) لتحسين المستقبل، كيف؟ من خلال اضفاء بعضاً من يقينها الذي لا يخطأ على الحالات الفردية للعمل (أي فائدة نؤدي الى التعلم وحده فقط) وذلك من خلال العمل على تكييف التقاليد – حسب الظروف – تكييفاً يتميز بالذكاء* وبذلك يعيد تشكيلها يقول ((علينا ان نوجد طريقة للتفكير والمعرفة تخلص التقاليد وتطهرها مما فيها من اوهام، وتحافظ في الوقت نفسه على ما بها من قيم اجتماعية واخلاقية، كاملة غير منقوصة، والحق انها بتخليصها هذه التقاليد من كل ما يشوبها من اوهام، انما ترفع من شأنها وتزيد في قوتها))[٤٥]. ومن هنا نستطيع ان نرد على من قال بان فلسفة ديوي تفاؤلية بالسلب، ذلك ان فيلسوفنا يحمل على المذاهب المتفائلة لانها في نظره تهون من شأن الشرور الموجودة فعلاً في الواقع، وبالتالي لاتجعل امكانية لمعالجتها، فديوي كان يريد مذهب اخلاقي يعمل على تحسين الأحوال القائمة سواء كانت تلك الأحوال فاسدة أو صالحة[٤٦].

- دعوة إلى أخلاق خبرة (إنسانية اجتماعية):-

عرفنا ان ديوي هو (فيلسوف الخبرة) حيث كان يعتمد على ما يتجمع شيئاً فشيئاً خلال الحياة، ونقصد ما يتجمع من تجارب ماضية وحاضرة معاً. لذلك هو رفض ان يكون (مصدر الاخلاق) قبلياً من سلطة عليا او من الذات، أي رفض ان يكون مصدرها لاهوتياً (دينياً) او ميتافيزيقيا او رياضيا[٤٧] متعاليا يفرض على الانسان فرضاً، لذلك قيل انه انزل الاخلاق من السماء الى الارض ((فاذا ما تاقت النفس بعد ذلك الى ميدان علوي سماوي فليكن سماء هذا الواقع لا سماء عالم اخر))[٤٨]. كما انه رفض ان يكون مصدرها الذات الانسانية، من النفس او العقل او عن طريق التنمية المباشرة لشيء يسمى (الضمير) او ملكة المعرفة الخلقية الخ... يقول ((المباديء الاخلاقية التي تعظم من نفسها بتحقير الطبيعة الانسانية ترتكب في الواقع جريمة الانتحار. والا فهي والطبيعة الانسانية في حرب اهلية لاتنتهي))[٤٩]. وهكذا لم يكن مصدر الاخلاق باعتقاده الا (البيئة الانسانية) يقول ((كما ان الحياة المادية لا يمكن ان توجد بدون عون وسند بيئة مادية، فكذلك الحياة الاخلاقية لايمكن ان تستمر بدون عون وسند بيئة اخلاقية))[٥٠]. أي انه اراد – في محاولة للقضاء على ثنائية جديدة – ان تتضافر الذات مع البيئة الطبيعية والاجتماعية لانشاء القيم الاخلاقية، وهكذا ينشيء الانسان قيمة كما تنشأ الامور كافة عن تفكير واختيار ومواقف قيم تنشأ عن الانسان وبسببه ولاجلة، من مواقفة الفردية الفعلية نتيجة لاتصالة بمحيطة اتصالا ((يظهر فيه كفاحه واختياره واسلوبه في معالجة المواقف التي تعترضه اثناء الحياة الجارية))[٥١]. ومعالجة المواقف الجزئية التي تعترضه تكون – باعتقاده – من خلال تفاعل وتكيف الانسان مع بيئته الاجتماعية بما فيها من ثقافة وعادات وتقاليد. ذلك التفاعل الذي يصفه بأنه يقوي الطرفين ويؤدي الى نمو وتقدم الطرفين. ومن هنا قيل ان ديوي ((لم يرد لمبحثه الاخلاقي ان يكون مجرد دراسة لسلوك الفرد، بل هو قد ارادة ان يصف لنا استجابات الانسان ومشاعرة بوصفة فردا ملتزما منخرطا في مواقف عدة، اعني باعتباره كائنا اجتماعيا يحيا في احتكاك مستمر مع الاخرين))[٥٢]. وهنا نصل الى ان اخلاقه انسانية اجتماعية في الوقت نفسه، فما ان يقوم الفرد بنشاط ما حتى تنتج عنه استجابات مختلفة من الاخرين في البيئة المحيطة به، فالاخرون يدخلون في اعتبارهم ما نفعل ويستجيبون لافعالنا طبقا لذلك، فهم يوافقون،

ويعترضون، ويحتجون، ويشجعون، ويشتركون، ويقاومون. واستجاباتهم تؤثر في معنى ما نفعل، فمتى اذا تركوا هذا الفرد وشأنه فان هذا يعتبر نوعا من الاستجابة لاشك في ذلك[٢].

وهكذا تكون الاخلاق عنده ((مسالة تفاعل بين شخص وبيئة اجتماعية على غرار كون المشي تفاعلا بين الارجل وبيئة جسمية سواء بسواء. فسجية المشي تتوقف على قوة وكفاية الارجل، ولكنها تتوقف ايضا على ما اذا كان المرء يمشي في مستنقع او في طريق ممهد))[٤]. واذا كانت الاخلاق التي ارادها (انسانية اجتماعية) فان المبرر لها لابد ان يقوم على كونها اداة تعمل على ترقية ونمو السلوك الانساني بما يحقق الفائده الاجتماعية[٥]. لكن كيف يمكن تربية السلوك الانساني بما يحقق مثل تلك الفائدة بنظره؟ ان ذلك يكون من خلال:- اولا تربية الفرد يقول ((اذا كان مستوى الاخلاق منخفضا فمرجع هذا الى ان التربية الناتجة عن التفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية تربية ناقصة))[٦]. ثانيا:- التعلم من الاخطاء يقول ((ان الشيء العظيم ليس تحاشي الاخطاء ولكن السماح بحدوثها في ظروف مهينة بحيث يمكن الافاده منها لزيادة وتوسيع مدى الذكاء في المستقبل))[٧]. وعندما نقول انه اراد من اخلاقه الاجتماعية الانسانية ان تحقق فائده، فاننا بذلك نضيف اليها صفات اخرى هي ١- (الغيرية) يقول ان ((شعار كل فرد لنفسه شعار قد عفى علية الزمن))[٨].

٢- (الواقعية والعلمية) يقول ((معظم الاخلاقيات القديمة اما هروب من عالم الواقع الى عالم المثل فيتعب هذا التعارض الناس مما يجعل بعضهم ينافق فيتظاهر بالمثاليات وينغمس بالرذائل وينغمس البعض الاخر بالزهو والتقشف وينسى الحياة الدنيا وينغمس الاخر في عالم الواقع بالانغماس في تحقيق شهواته ورغباته))[٩]. ومثلما لم يشأ ديوي بان تستقل الاخلاق عن البيئة الانسانية والاجتماعية، فانه لم يشا ان تستقل عن العلوم الاخرى، ذلك ان ((الافعال الانسانية التي هي موضوع البحث عند (الاخلاق) هي تعبير عن الطبيعة البشرية التي تتعاون على دراستها وفهمها طائفة من علوم لا علم واحد بذاته))[١٠] ويقول ((ليس الاخلاق مبحثا قائما بذاته لانها ليست حادثة استطرادية عارضة او حلقة او قسما او فرعا قائما بذاته))[١١] وهكذا كانت للاخلاق – باعتقاده – صلات بالعلوم التالية:-

١) علم الاجتماع:- لان الفرد - موضوع الاخلاق – هو جزء من المجتمع، لذلك هو رفض التفرقة بين لفظي الفرد والمجتمع، وعدهما لفظين غامضين واكد ((ان هذا الغموض سيستمر طالما اعتبر الفرد والمجتمع لفظين متضادين))[٦٢].
٢) علم الأحياء:- يقول ((الاخلاق التي تقوم على دراسة الطبيعة الانسانية بدلا من ان تقوم على اغفالها، تجد الحقائق الخاصة بالانسان مستمرة مع الحقائق الخاصة ببقية الطبيعة وتربط بذلك بين الاخلاق والطبيعة وعلم الاحياء))[٦٣].
٣) علم النفس:- لما كانت الاخلاق انسانية تتعلق بالطبيعة الانسانية، فان ما يمكن معرفتة عن العقل والجسم الانساني في علم النفس يكون مما يناسب البحث الاخلاقي، وفعلا فان ديوي قد طبق علم النفس الاجتماعي على مشكلات التربية والاخلاق[٦٤].
٤) علم الاقتصاد والسياسة:- يقول ((الحياة التي يعيشها الرجال والنساء والاطفال بالفعل، والفرص المتاحة لهم، والقيم التي في قدرنهم التمتع بها، والتعليم الذي تلقوه، والفنون والعلوم التي شاركوا
فيها، كل اولئك تحددها اساسا الشروط الاقتصادية ومن ثم ليس لنا ان نتوقع مذهبا اخلاقيا يتجاهل
الشروط الاقتصادية دون ان يكون متعاليا فارغا))[٦٥].

ويرى ان الفصل الذي حدث بين الاخلاق والاقتصاد هو موروث من الفلسفة الاغريقية التي فصلت قديما بين العلوم النظرية والاعمال المادية المهنية، وناشد الفلسفة بمهمة تطهيرية تعمل على الجمع بينهما من جديد[٦٦]. ومن هنا نفهم كيف صار ديوي امام الاشتراكية وقديسها وحاميها.

من كل ما ذكرنا، يمكن ان نعرف بعبارة واحدة مختصرة دعوة ديوي تلك بانها دعوة لايجاد ((الكائن الانساني السليم في البيئة الانسانية السليمة))[٦٧].

- دعوة الى استخدام المنهج العلمي في الأخلاق:-

اهتم ديوي بالوسائل التي يمكن أن تحقق أخلاقية – كما بينا – وهذا دفعه إلى التفكير بوسائل مبتكرة ودقيقة وفعالة ليتمكن بها من تحقيق أهدافه الطموحة والتي أهمها إن تكون علما متطورا ناميا يقول ((في وسع الأخلاق أن تكون علما يتطور وينمو، إذا قدر لها إن تكون علما على الإطلاق*. ليس

فقط لان الحقيقة كلها لم تعين وتعزز بعد على يد عقل الإنسان، ولكن لان الحياة سبيل متحرك تبلى فيه الحقيقة الأخلاقية القديمة وتتوقف عن التطبيق))[٦٨]. لذلك هو لم يجد أفضل من منهج العلوم (المنهج التجريبي الاستقرائي) ليحقق به هدفه هذا خاصة وان ذلك المنهج قد أعلن عن فاعليته وبرهن على كفاءته في مجال العلوم الطبيعية التي أثمرت ثمارا طيبة، تذوقها الإنسان وانتفع بها، وهذا هو السبب الأول الذي دفعه إلى الدعوة لاستخدام هذا المنهج في مجال الأخلاق، فسابقا كان طلب الضوء والحرارة مثلا من مصدر آخر غير الطبيعية مجرد حلم من الأحلام، لكن أضحى ذلك الأمر حقيقة بعد دراسة شروط ظهورها، وعرفنا العلاقات القائمة في أساسها، مما أدى إلى قدرة على إنتاجها، ونشأت المتعة عن ذلك بطبيعة الحال[٦٩]. – وهو هنا يلغي ثنائية أخرى، هي الثنائية القائمة بين منهج العلوم (التفكير النظري) ومنهج الأخلاق (السلوك العلمي) – لكن مع كل تلك الثمار الطيبة التي نشأت عن العلم الطبيعي إلا ان شرورا قد رافقت ذلك، يعتقد ديوي إن العلم غير مسؤول عنها، فنتائج العلم الهدامة – باعتقاده – ترجع إلى أحوال البشر الاجتماعية وإلى الأحوال غير العلمية التي تكونت فيها الأخلاقيات بمعنييها النظري والعملي، فتطور العلوم الفيزيقية والفسيولوجية**، لم يرافقه تطور مماثل في مجال الأخلاق لذلك كان ذلك التطور ناقصا، أي إن مصدر الشرور التي رافقت نتائج العلم الطبيعي، راجعه إلى عدم التوازن في تطبيق منهج البحث على كل شيء وعلى ذلك فان المطلوب هو تجديد أخلاقي يعادل النجاح الذي حدث

في العلم ليوجه العلم إلى غايات إنسانية حقه[٧٠] من جهة ولينشئ مجتمعا متحدا وملتحما من جهة أخرى[٧١]. ومن المهم الاشارة هنا الى ان ديوي عزى انفصال الاخلاق عن العلم الطبيعي وبالتالي تشكيل النظرية التقليدية في الاخلاق الى القول بـ(الغايات الثابتة) التي يجب ان توجه اليها الاعمال الانسانية، هذا القول الذي لم يعمل به العلم الطبيعي في القرن(١٧) من جهة[٧٢]. والى استمرارية منطق التعريف والتصنيف في الموضوعات الانسانية ذلك المنطق الذي كان مستخدما في العلم الطبيعي قبل الثورة العلمية في القرن(١٧) من جهة اخرى[٧٣].

واضافة لذلك السبب، كانت هنالك اسباب عديدة اخرى كانت تقف وراء دعوة ديوي الى استخدام منهج العلم في مجال الاخلاق نذكر منها:-
ثانياً:- ((ان الراي العلمي، تجريبي، بقدر ما هو تشاركي في الاصل. واذا ما طبق بصورة عامة فسيحررنا من العبء الثقيل الذي فرضته علينا العقائد والمقاييس الخارجية))[٧٤] فعدم استخدام منهج العلم في الامور الانسانية اخضعها للاهواء والعادات المتجمدة ومصالح الطبقات الخ.
ثالثاً:- مهما كانت الثمار التي حصلنا عليها من العلم الطبيعي، فانها تبقى محددة وناقصة، ولا يكتمل ذلك النقص الا اذا استخدمنا منهج العلم في امورنا الانسانية فـ((الفيزياء، والكيمياء، والتاريخ، والاحصاء، والهندسة، والتعليم، جزء من المعرفة الاخلاقية المنظمة المنسقة ما دامت تمكننا من فهم الظروف والاحوال والوسائل والفاعليات التي بها يعيش الانسان، والتي بسببها يكون خططه وينفذها))[٧٤].
رابعاً:- حتى لا نظهر بمظهر من يتخلى عن جميع المعايير وعن كل سلطة منظمة، حينما نسأل لماذا نثق بهذا المنهج في الامور الطبيعية ولانشق به في غيرها[٧٦].
خامساً:- اراد ديوي احداث تغيير في الامور الانسانية بما يناسب ظروف الحياة الحاضرة، تغيير انقلابي ثوري عظيم، كالذي حدث في النواحي الفنية الصناعية، وشدد على ان مهمة القرن(٢٠) هو اتخاذ هذه الخطوة[٧٢].
سادساً:- اذا تحولت العلوم الطبيعية كالكيمياء والاحياء والطب الخ لعلاج متاعب الانسانية، سوف يزول عن علم الاخلاق هزالته وغموضه ووصفه بانه علم مدرسي فحسب، هذا ما يضيفه العلم الى الاخلاق اما المكسب الذي ستضيفه الاخلاق للعلم هو في ان تجعله يكتسب صفة الانسانية مما يجعل الناس يدرسوه((لا بطريقة فنية خاصة من اجل ما يسمونه دراسة الحق من اجل الحق، ولكنهم يواصلونها وهم شاعرون بعلاقته الاجتماعية وبضرورته العقلية التي لايمكن الاستغناء عنها))[٧٤].
هذه هي الاسباب التي دفعت ديوي الى التفكير في استخدام المنهج العلمي في مجال الامور الانسانية، واذا كان ذلك المنهج بتلك الاهمية، فان من الضروري ان نسلط الضوء عليه، لمعرفة خطوات عمله واهدافه.

المنهج العلمي هو((الطريقة التي يستخدمها الانسان في خروجه من دائرة الفكر المحض الى دنيا العمل))[٧٤] وهو يعتمد على الاستنباط والاستقراء معاً. فالاستنباط نبدأ به حين نكون إزاء مشكلة فنفرض فرضاً معيناً، نعتقد ان بتنفيذه ستحل المشكلة (ديوي يطلق على الفرض اسم الفكرة، ويعرفها بالاقتراح الذي يقدمه الانسان لنفسه لحل مشكلة معينة من مشكلات حياته.). اما الاستقراء فنعمل به عندما نخرج بالفرض الذي فرضناه الى دنيا الواقع ونعتمد على الملاحظة والتجربة، لنستدل اذا كان فرضا صائباً ام خاطئاً[٨].

أما خصائص هذا المنهج فهي:-

١-العمل الصريح الذي يجري في علانية لافي الخفاء او السرية.

٢-يتطلب احداث تغيير البيئة او علاقتنا بها.

٣-البحث لايتم عشوائياً، بل بتوجيه الافكار التي يتوقف عليها حل المشكلة المطروحة للبحث.

٤-ثمرة البحث تفضي إلى تكوين مواقف جديدة يمكن حينها أن تصبح معروفة لنا[٨].

أخيراً لابد لنا من الاشارة الى ان دعوة ديوي تلك لم تكن الوحيدة والجديدة في عصره. فقد بدأت محاولة جعل الاخلاق علما من القرن (١٨) تقريبا. ان لم يكن قبلها وان الذي ((كان يعوز القدماء على وجه الخصوص حتى ينشئوا علما بمعنى الكلمة للامور الخلقية هو الطريقة الاستقرائية الدقيقة التي كانت الطريقة الجدلية تحتل مكانها، لكن من اين تاتيهم فكرة مثل هذه الطريقة اذا كانت تنقصهم في علم الطبيعة))[٨٢] وفي العصر الحديث بدأت هذه الدعوة مع (كونت) و (دور كهايم) ومن ثم (ليفي بريل)* الذي حاول اكمال ما بدأناه، وقد وجهت اعتراضات له ولغيره من اصحاب هذه الدعوة، منها ان استخدام منهج العلوم في الاخلاق يمس بقدسيتها، ورد (بريل) على ذلك الاعتراض بالقول كان الطب قديما يعتمد على السحر والشعوذة الى ان افاد من كشوف العلوم وصار علاج الامراض يتم عن طريق وسائل علمية دقيقة، كذلك علم الاخلاق سيظل يعتمد على التخمين والاراء الذاتية طالما بقي على حالته الراهنة[٨٣] اضافة الى اعتراض اخر، يقول ان العلوم الطبيعية تبحث فيما هو كائن اما موضوع الاخلاق فهو البحث فيما ينبغي ان يكون[٨٤] وكان رد (بريل) على ذلك الاعتراض الاخر بالقول، ان الاخلاق

وان كانت تبين ما ينبغي ان يكون، أي تعديل بعض الحقائق الاخلاقية او الاجتماعية، لكن ذلك لايتم لها الا اذا اخضعت هذه الحقائق للمعرفة العلمية وقوانينها[٨٤]أخيرا لابد لنا ان نذكر بان ((صيحة ديوي قد لقيت صدى عند علماء الاجتماع والاخلاق ومن قبل ذلك اخذ علم النفس يطبق المنهج التجريبي، ولكن هذه المحاولات لاتزال في بداية الطريق، ولابد ان ننتظر بضعة اجيال حتى يثمر هذا التطبيق ثمرته، وتبلغ المعرفة بالانسانيات ما بلغته العلوم الطبيعية التي طبقت على المناهج التجريبية منذ قرنين من الزمان))[٨٦].

لكن رغم ذلك قيل ان معظم المذاهب الاخلاقية التي تحاول الثورة على الاخلاق التقليدية لاتعتبر مذاهب اخلاقية بالمعنى الحقيقي، بقدر ما تعد ثورة ضد العادات البالية، مثال ذلك اراء المدرسة الكلبية في الاخلاق قديما واراء (نيتشه) الاخلاقية حديثا[٨٧]. فهل يمكن عد اراء ديوي الاخلاقية كذلك ايضا؟ لم تكن اراء ديوي الاخلاقية مجرد ثورة وانتهت فهو قد وضع اساس المنهج التجريبي الممكن تطبيقه على العلوم الانسانية في محاولة منه لايجاد اداة جديدة على غرار اداة (بيكن) الجديدة التي حاول بها الرد على اداة (أرسطو) القديمة، والتي استخدمها حين وضع اساس المنهج التجريبي الذي سارت على هديه العلوم الطبيعية في القرن (١٧) وتقدمت التقدم الذي نشهده للان[٨٨].

دعوة إلى حرية وديمقراطية:-

سبق وذكرنا ان واحدة من الاسباب التي دفعت فيلسوفنا الى المطالبة بتطبيق منهج العلم على الاخلاق، هي حرصة على ازالة قيود الماضي وتحقيق الحرية الانسانية، فالاخلاق التي تتناول الواقع بالتغيير نحو قيم يخلقها الانسان لنفسه بوحي من ظروفة[٨٩]. هي اخلاق تطالب بالحرية قبل كل شيء. ذلك ان الحرية كانت مقدسة عنده لانها باعتقاده صفة اصيلة في الانسان[٩٠]. ويرى ان الكل ((مجمع على اننا نريد حياة طيبه، تستلزم الحرية))[٩١]. وقد عرف ديوي الحرية بالقول انها ((اطلاق القدرة من ايمان شيء يكفيها))[٩٢] وهي ((السعي الى (القوة

Power) إما لأنزال قوة اخرى من عرشها، او لامتلاك قوة لم تمتلك بعد، او امتداد لقوى اخرى))[٩٢]. والحرية كانت مهمة عنده لاسباب عدة منها اولا:- انها ((شرط لازم لتحقيق امكانيات الفرد والتقدم الاجتماعي))[٩٣] ثانيا:- الحرية تفضي الى صحة نفسيه وتساهم في القضاء على الامراض الاخلاقية، التي يسببها (الكبت) أي الطاقة النفسية التي لا تتفجر فتتجه إلى الداخل وتعيش حياة تحتية مصطنعة[٩٤]. لكن من المهم الاشارة الى انه رغم اهتمام ديوي بالحرية الا انها لم تكن عنده مطلقة، كما انه طالب بان تكون مسؤوله، أي ليست فوضوية بل حرية تهتدي بالعقل من جهة ولا تتعارض مع التنظيم من جهة أخرى، فلاحرية – باعتقاده – دون تنظيم معتدل غير مغالى فيه. اضاقة الى انها كانت عنده تقوم على المعرفة، فالطبيب او المهندس حر في تفكيره وفي عمله بمقدار ما يعرف ما يعمله[٩٦]. ومثلما نادى بالحرية بعامة وبحرية في مجال الاخلاق نادى كذلك بالديمقراطية لانها كانت باعتقاده ((طريقة من طرق الحياة، وبقي علينا ان ندرك انها طريقة من طرق الحياة الشخصية كذلك، تزودنا بمعيار اخلاقي سليم للسلوك الشخصي))[٩٧]– وقد اشرنا في مكان سابق الى ان دعوته الى ديمقراطية في مجال البحث الاخلاقي، كانت ملازمة لدعوته الى تغيير واصلاح اخلاقي، كما اشرنا الى انه كان فيلسوف الديمقراطية، حيث نادى بها في كافة مجالات الحياة وبخاصة مجال التربية والتعليم لانها باعتقاده المعين الاول الذي يشرب منه الانسان هذا المعنى المهم يقول ((حين ينشأ الطفل منذ صغره على عشق الديمقراطية ومحبة الحرية، ليكون سلوكه في الحياة حين يشتد ساعده ويدخل في طور الشباب والرجولة صادرا عن ديمقراطية اشربت بها نفسه ونزلت منه منزلة الطبع. وبذلك تكون الديمقراطية في الدول ديمقراطية حقيقية، وليست صورية يتشدق بها صاحبها ولا يعمل بها))[٩٨].

الخاتمة

- خلاصة ونقد وتقييم لاهم ما ورد في البحث.

استطاع ديوي أن يرفدنا بآراء أخلاقية لا تقل أهمية ومكانة عن أرائه المعرفية او التربوية وجميع المسائل الاخرى التي تناولها بحثاً وتحليلاً وتمكن من الوصول بنا الى اراء اخلاقية جديدة عصرية من جهة وقابلة هي الاخرى للتغيير والتعصرن من جهة اخرى، أي اراء يمكن ان نطلق عليها انها كانت تتميز بقابلية وطواعية لخلق متجدد او مستمر فاذا عصفت بالانسانية موجات* - على حد قول (الفين وهيدي توفلر)** فان من البديهي ان الموج لا يبقي ولا يذر شيئاً على حالة، لذلك فان أي تغيير يمكن ان يحدث في جانب يكون من الضروري ان

يرافقة تغييراً في الجوانب الاخرى. وكان يمكن للاراء الاخلاقية التي طرحها ان تحتفظ بصفة التغيير والتجدد تلك – باعتقاده – ان تمسكت باتباع خطوات محدده اهمها عدم الفصل بين النظر والعمل او البيئة واستخدام المنهج العلمي والتربية الحديثة. وقد بينا في بحثنا تفصيلات هذا القول لكنا لم نشر الى دور التربية في ذلك الا اشارة – ليس لقلة اهميتها في ذلك الموضوع، ذلك اننا بينا رأينا الذي نعد فيه ديوي فيلسوفاً تربوياً بالدرجة الاساس. – لكن رغبةً منا في تسليط الضوء على أرائه الاخلاقية مع الحرص على ان لا تختلط بآرائه التربوية – الشديدة الارتباط بارائه الاخلاقية – وهذا ما بينه لنا ديوي ذاته في جميع مؤلفاته يقول – ((الاخلاق هي التربية، اذ هي تعلمنا معنى ما نستهدفه، واستعمال هذا المعنى في العمل))[٩]. ((ان جميع الاهداف والقيم المحمودة في التربية هي خلقية في ذاتها))[١٠]. ((عملية التربية، والعملية الاخلاقية شيء واحد، ما دامت الثانية لا تخرج عن انها انتقال الخبرة باستمرار من امر سيء الى اخر احسن منه وافضل))[١١]. ((وظيفة التربية هي مساعدة الحيوان الصغير النامي العاجز لكي يصبح انساناً سعيداً ذا اخلاق قادراً فعالاً كفواً))[١٢]. ومن هنا وخدمة لابراز اراء ديوي الاخلاقية وحرصا على ان تاخذ مكانها الذي تستحق اثرنا الاشارة البسيطة اليها في سياق البحث. واضافة الى انه ارادهما اخلاقا متجددة، اراد ديوي لها ان تتخلص من الثنائيات التقليدية وارادهما اخلاقاً عملية (اخلاق خبره) على صلة بالواقع ومشكلاته، وغير تلك من الاراء التي فصلنا القول فيها. ووجدناها اراء متماسكة الواحدة منها تفضي للاخرى، حيث يفصل ويفسر كل راي منها الراي الاخر دون ان يقلل من أهميته. اما معيار نجاحها في دنيا الواقع، فمتروك تحديده الى البلاد التي طبقتها على ارض الواقع بالفعل.

المصادر

- ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة، مصر
- اسلام، د. عزمي:- اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، الكويت
- الاهواني، احمد فؤاد:- جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، مصر
- الشمري، عبد الامير سعيد موسى:- الفكرة والعمل في الفلسفة جون ديوي، رسالة ماجستير، ١٩٨٣
- الشمري، عبد الامير سعيد موسى:- نظرية المعرفة في فلسفة جون ديوي، رسالة دكتوراه، ١٩٩٧
- الطويل، د. توفيق:- الفلسفة الخلقية، القاهرة، ١٩٦٠
- بريل، ليفي:- الاخلاق وعلم العادات الاخلاقية ، ترجمة د. محمود قاسم ، مراجعة د. السيد محمد بدوي، مصر، ط٣

- بدوي، د. السيد محمد:- الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مصر، ١٩٦٧
- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ترجمة وتقديم د. احمد فؤاد الاهواني، مصر، ١٩٦٠.
- الحرية والثقافة، ترجمة مرسي قنديل
- الديمقراطية والتربية، ترجمة، د. متي غفراوي وزكريا ميخائيل، مصر، ١٩٤٦
- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ترجمة وتقديم د. محمد لبيب النجيحي، القاهرة
- الفردية قديماً وحديثا، ترجمة خيري حماد، مراجعة، مروان الجابري، بيروت، ١٩٦٠
- تجديد في الفلسفة، ترجمة امين مرسي قنديل، مراجعة د. زكي نجيب محمود، مصر
- قاموس جون ديوي للتربية، جمعها رالف .ن. وين، ترجمة وتقديم د. محمد علي العريان، تصدير عبد العزيز سلامة، القاهرة، ١٩٦٤
- ذكرى، ابو بكر:- تاريخ النظريات الاخلاقية وتطبيقاتها العلمية ط٤، ١٩٦٥
- شنيدر، هربرت:- تاريخ الفلسفة الامريكية، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي، مصر، ١٩٦٤
- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ط٣، ١٩٨٧

الهوامش

* فيلسوفنا امريكي معاصر (١٨٥٩ – ١٩٥٢) ينتمي الى المدرسة البرجماتية (العلمية) الامريكية المعاصرة، عرف بفيلسوف التربية والديمقراطية والخبرة.

١- ديوي جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ترجمة وتقديم د. محمد لبيب النجيحي – القاهرة – ص٤٦

٢- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ط٣، ١٩٨٧، ص١٩٩.

٣- شنيدر، هربرت:- تاريخ الفلسفة الامريكية، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي، مصر ١٩٦٤، ص٣٦٠-٣٦١.

٤- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، جمعها، رالف. ن. وين، ترجمة وتقديم د. محمد علي العريان، تصدير، عبد العزيز سلامة، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٠٣.

٥- الاهواني، احمد فؤاد:- جون ديوي، نوابغ الفكر الغربي، مصر، ص٢٧.

٦- الاهراني، احمد فؤاد:- جون ديوي، ص٢١
٧- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ترجمة امين مرسي قنديل، مراجعة، د. زكي نجيب محمود، مصر، ص٢٢٠.
* مؤسسة المدرسة البرجماتية الامريكية المعاصرة.
** احد فلاسفة المدرسة البرجماتية.
٨- ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة، مصر، ص٦٢.
٩- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص١٥٣.
١٠- ديوي، جون:- الحرية والثقافة، ترجمة مرسي قنديل، ص١٥.
١١- ديوي، جون:- الديمقراطية والتربية، ترجمة، د. متي غفراوي وزكريا ميخائيل، مصر، ١٩٤٦، ص٣٥٦
* ديوي لم يقبل الاخلاق التي غايتها الذات او اللذة الشخصية كدافع للسلوك كمذهب المنفعة بل شدد على الاخلاق التي تهتم بالمجموع ووجد ان الذات والمصلحة اسمان لحقيقة واحدة، فالايثار يجب ان لا يعني فقدان المصلحة فيما يعملة الانسان لان ذلك يعني انه كالاله الصماء ويعني فقدان الرجولة والقيم الشخصية، الذات يجب ان تعيد تكييف ذلتها (تنمو بالخبرة) بحيث لا يحدث تعارض بين مصلحتها ومصلحة المجموع.
١٢- ذكرى، ابو بكر:- تاريخ النظريات الاخلاقية وتطبيقاتها العملية، ط٤، ١٩٦٥، ص٤٦.
١٣- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٢٤٩.
١٤- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ترجمة وتقديم د. احمد فؤاد الاهواني، مصر، ١٩٦٠، ص٣٠٠.
١٥- الشمري، عبد الامير سعيد موسى:- الفكرة والعمل في الفلسفة جون ديوي، رسالة ماجستير، ١٩٨٣، ص٢٣٠.
١٦- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٦١.
١٧- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني ، ص٢٤٩.
١٨- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص٢٧٣-٢٧٤.
* مصطلحات شائعة عند الفلاسفة الاسلام.
١٩- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٦٠.
٢٠- المصدر نفسه، ص٢٥١.
٢١- محمود، د. زكريا نجيب:- حياة – الفكر في العالم الجديد، ص١٦٨.

** سمي مذهبه كذلك لانه يرى ان الانسان يبحث بطبيعة عن حل لمشاكلة، والتفكير والخبرة الخ كلها ادوات يستخدمها لحل مشاكلة.

٢٢- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ص٣٠٧.
٢٣- المصدر نفسه، ص٣٠٨.
٢٤- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٦٣.
٢٥- المصدر نفسه، ص١٦٠.
٢٦- المصدر نفسه، ص١٦١.
٢٧- المصدر نفسه، ص١٦٤.
٢٨- الشمري، عبد الامير سعيد موسى:- الفكرة والعمل في الفلسفة جون ديوي، ص٢١٥.
٢٩- اسلام، د. عزمي:- اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، الكويت، ص٨٧.
٣٠- نفورث، موريس كور:- البراغماتية والفلسفة العلمية، ترجمة ابراهيم كبه، بغداد، ١٩٦٠، ص١٣٨.
٣١- الاهواني، احمد فؤاد:- جون ديوي، ص٣٠.
٣٢- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٧٦.
٣٣- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص١٢٦.
٣٤- شيندر، هربرت:- تاريخ الفلسفة الامريكية، ص٢٤٢.
٣٥- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٢٥٩.
٣٦- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص٢٠.
٣٧- المصدر نفسه، ص٢٨٨.
٣٨- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٢٩٥.
٣٩- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص٢٩٠.
٤٠- الشمري، عبد الامير سعيد موسى:- نظرية المعرفة في فلسفة جون ديوي، رسالة دكتوراه، ١٩٩٧، ص٩٠.
٤١- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٢٥٥.
٤٢- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص١٩-٢٠.
٤٣- ديوي، جون:- الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، مراجعة مروان الجابري، بيروت، ١٩٦٠، ص٨٦.
٤٤- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ص٣٠٠-٣٠١.

* عند مصطلح الذكاء intelligence، وهو ليس الذكاء بالمهنى النفساني الذي نعرفة، بل في فلسفته هو (العقل البصير) او العمليات التي نؤديها بالفعل لتعديل الظروف (ومنها الاخلاقية).

٤٥- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص٧٨.
٤٦- المصدر نفسه، ص٢٩٢.
٤٧- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٣٠٩.
٤٨- المصدر نفسه، ص٤١.
٤٩- المصدر نفسه، ص٢٧.
٥٠- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٢٩.
٥١- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٦٧.
٥٢- ابراهيم، د. زكريا:- الدراسات في الفلسفة المعاصرة، ص٧٣.
٥٣- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٤١.
٥٤- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٢٧.
٥٥- الشمري، عبد الامير سعيد موسى:- الفكرة والعمل في الفلسفة جون ديوي، ص٢٢١.
٥٦- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٣٣١.
٥٧- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٢٧.
٥٨- الشمري، عبد الامير سعيد موسى: نظرية المعرفة في الفلسفة جون ديوي، ص١٩٠.
٥٩- الاهواني، د. احمد فؤاد:- جون ديوي، ص١٣٦.
٦٠- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٧٥.
٦١- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٢٨.
٦٢- الطويل، د. توفيق:- الفلسفة الخلقية، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٨٢.
٦٣- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٣٥.
٦٤- شنيدر، هربرت:- تاريخ الفلسفة الامريكية، ص٢٦٨.
٦٥- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ص٣١١.
٦٦- الاهواني، د. احمد فؤاد:- جون ديوي، ص٨١.
٦٧- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٤٨.

* اكد ديوي ان المسألة الرئيسية في الفلسفة اليوم هي تطبيق المنهج العلمي على القيم.

٦٨- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٢٨.
٦٩- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ص٢٩٦- ٢٩٧.

** هذه الدعوة تذكرنا بـ(كانت) الذي حاول تطبيق منهج العلوم على الميتافيزيقا.
* الطب والصحة العامة.
٧٠- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص٤٩-٥٠.
٧١- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٩٠.
٧٢- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ص٢٤٢.
٧٣- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، ص٢٧٩.
٧٤- جون، ديوي:- الفردية قديما وحديثا، ص١٤٣.
٧٥- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص١٥٣.
٧٦- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، مقدمة المترجم ص٢٥.
٧٧- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص١٥٥.
٧٨- المصدر نفسه، ص٢٨٥.
٧٩- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٧٠.
٨٠- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٧٠-١٧١.
٨١- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، مقدمة المترجم ص١٤.
٨٢- بريل، ليفي:- الاخلاق وعلم العادات الاخلاقية ، ترجمة د. محمود قاسم ، مراجعة د. السيد محمد بدوي، مصر، ط٣، ص١٦٠.
* فرنسي هو واحد من كبار رجال الاخلاق والاجتماع في العصور المتأخرة ولد (١٨٥٧).
٨٣- بدوي، د. السيد محمد:- الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مصر، ١٩٦٧، ص٢٥١.
٨٤- بريل، ليفي:- الاخلاق وعلم العادات الاخلاقية ، ص٦٧.
٨٥- المصدر نفسه، ص٦٨.
٨٦- ديوي، جون:- البحث عن اليقين، مقدمة المترجم ص٢٥-٢٦.
٨٧- بريل، ليفي:- الاخلاق وعلم العادات الاخلاقية ، ص٩١.
٨٨- الاهواني، د. احمد فؤاد:- جون ديوي، ص١٠٤.
٨٩- محمود، د. زكي نجيب:- حياة الفكر في العالم الجديد، ص١٧٦.
٩٠- ديوي، جون:- الحرية والثقافة، ص٧.
٩١- جون، ديوي:- الفردية قديما وحديثا، ص١٣٦.
٩٢- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٨٦.
٩٣- الاهواني، د. احمد فؤاد:- جون ديوي، ص٦١.
٩٤- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٨٧.

٩٥- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، مقدمة المترجم ص١١.
٩٦- الاهواني، د. احمد فؤاد:- جون ديوي، ص٦٤-٦٥.
٩٧- ديوي، جون:- الحرية والثقافة، ص١٥٥.
٩٨- الاهواني، د. احمد فؤاد:- جون ديوي، ص٣٠.
*موجة اولى زراعية وثانية صناعية وثالثة معلوماتية ، رافقت كل موجة حضارة جديدة.
**فلاسفة امريكان من العصر الحاضر.
٩٩- ديوي، جون:- الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، مقدمة المترجم ص٢٩٥.
١٠٠- ديوي، جون:- الديمقراطية والتربية، ص٣٦٦.
١٠١- ديوي، جون:- تجديد في الفلسفة، ص٢٩٩.
١٠٢- ديوي، جون:- قاموس جون ديوي للتربية، ص٧٥.